المثقف والمجتمع والسلطة

De :

Zoubida ACHAHBOUN

Professeur de Sociologie à la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines d'Agadir, Université Ibn Zohr, Département de Sociologie.

ملخص :

للمثقف آليات التحكم أقوى من آليات الحاكم ، و ذكاء ه أكبر من ذكاء الحاكم و المثقف يفكر و يحلل و يفكك ويتنبأ. يتميز ببعد النظر و الروية و الاتزان، يضع كل الاحتمالات و يقدم الحلول لكل احتمال، إنه شعلة بركان من الأفكار، متفجر باستمرار، نبع لا يجف ولا ينضب و هنا تكمن قوة سلطة المثقف، في حين أن الحاكم يفكر ليس من أجل التفكير فقط ولكن من أجل التفعيل المحكوم بظرفية زمنية قصيرة بتحولها تنقلب كل الموازين. الحاكم قد يستخدم ذكائه أو دهائه في أشياء تافهة قد تحقق له غايات محكومة بالزمان، قد يتصرف باندفاعية أساسها العنف والدهاء و المكر. و هنا لا ننسى ماكيافلي في كتابه الأمير : كيف يمكن للحاكم أن يمدد من حكمه باستعماله كل الطرق، أليس هو القائل بأن الغاية تبرر الوسيلة هذا القول الذي ينعدم في قاعدة المفكر.

.

الكلمات المفاتيح:

آليات الحاكم، المثقف، ظرفية زمنية، سلطة المثقف، المجتمع، السلطة، المفكر.

Abstract:

Control mechanisms of cultured stronger mechanisms of the ruling, and the intelligence and the intelligence of the largest of the ruling and intellectual thinking and analyzes and disassembles predicts. Is characterized by far-sighted and Ruwayyah and poise, puts all the possibilities and offers solutions for every eventuality, it is the flame of a volcano of ideas, explosive constantly, spring does not dry and inexhaustible, and therein lies the strength of intellectual power, while the ruling is thinking not only for reflection but from for activation sentenced Bzervih short time becoming capsize all the balances. The governor may use his intelligence or cunning in trivial things have been achieved his goals is governed by time, it may act Bandfaih based violence and savvy and cunning. Here and do not forget Prince Machiavelli in his book: How can the governor to extend his rule its use of all roads, Alice is that the end justifies the means this word that lacking in intellectual base.

Keywords:

Governor mechanisms, intellectual, circumstantial time, the authority of intellectuals, community, power, thinker.

يقول محمد عابد الجابري " المسألة الثقافية في الوطن العربي : " ... و إذا كان لنا أن نأخذ بمعطيات عالمنا الراهن فإن المعطى الذي يفرض نفسه هو "أن المسألة الثقافية" لم تعد في الظل ، لم تعد"تابعا" بل إنها ، شئنا أم كرهنا، تطغى على سطح الأحداث، أو على الأقل تزاحم وتضايق على هذا السطح غيرها من المعطيات....."

تكتسي المسألة الثقافية في عالم اليوم وفي مختلف الجهات و الأقطار أهمية خاصة : فما من بلد في عالم اليوم إلا ويعاني بصورة ما وبهذه الدرجة أو تلك مظهرا أو مظاهر عدة تتدخل كلها في تكوين هذه المسألة أو تشكل إحدى تجلياتها، حتى أصبح من الجائز القول إن " المسألة الثقافية بمعناها الواسع هي اليوم المحرك للتاريخ : التاريخ المعاصر، الراهن. أما طبيعة الحركة التي يولدها هذا "المحرك" واتجاهها ومدى توافقها أو تناقضها مع حركة التاريخ الحقيقية، حركته الكلية العامة، فهذه مسألة أخرى المهم بالنسبة إلى موضوعنا أن نلاحظ أن ل"المسألة الثقافية" في التحركات الاجتماعية والسياسية في جل الأقطار عالم اليوم دورا بارزا، بل تقدم نفسها في بعض الأقطار ، كفاعل وحيد.

فهل فعلا وانطلاقا من تصور عابد الجابري أن الثقافة والمثقفين يلعبون دورهم التحريكي للتاريخ وللمجتمعات ؟

ماذا نعني بالثقافة و بالمثقف ؟ وما علاقة المثقف بالسلطة؟ وهل يوجد مثقف حقيقي و آخر غير حقيقي ؟ هل المجتمع بكل مكوناته مسئول عن وضع المثقف ؟ هل الموقف الاديولوجي للمثقف يبعده أو يقربه من قضاياه الاجتماعية ؟ و في أي شروط يمكن للمثقف أن يمارس مهامه هذه ؟ إنها أسئلة عديدة ومتناسلة إلا أن الأجوبة عنها ليست بالحاسمة، بالنظر لنسبية المعرفة ولعمومية المادة الثقافية ذاتها؟ أسئلة طفت على السطح خاصة في الآونة الأخيرة بعد الحراك الاجتماعي الذي اقتحم الحياة "الهادئة" للمجتمعات العربية حراك كان أبطاله عامة القوم: عمال طلبة فلاحون معطلون.. فئات اجتماعية مختلفة، طالما انتظرت التغيير و الانعتاق وتوفير العيش الكريم . وضع، حرك الفضول فكان التساؤل ملح عن أدوار المثقف في هذا الحراك و التي كانت فعلا شبه منعدمة فليس القلم هو الذي حرك الشارع العربي بل الجوع والحرمان و الإحساس بالدونية.

إن غياب المثقف عن هذه المنظومة الحركية للشعوب العربية أثار الشك حتى في تقييمنا للمثقف و زعزع ثقتنا به و بدوره فهل نحن حقا مخطئون في تقييم و معرفة خصوصية المثقف ؟ هل اختلط علينا الأمر و حسبناه هو كل شخص ولج الجامعة أو تلقى تكوينا عاليا وحصل على دبلوم عالي فصنفناه بالمثقف. أم أن المثقف شيء آخر هو نموذج للشخص الواعي بمسؤوليته تجاه مجتمعه يوجهه و يقوده معتمدا على الحقيقة والعدالة و الحوار.

إذن هناك أزمة في التعريف و في معرفة المثقف و أظن السبب راجع إلى المثقف نفسه و إلى المجتمع كذلك فهي مسؤولية متقاسمة إذ كل منهما يجب أن يتعايش في جدلية. ويبدو أن الثقافة هي إدراك الفرد والمجتمع للعلوم والمعرفة في شتى مجالات الحياة، فكلما ازداد الفرد وعياً بنواحي الحياة ازداد ثقافةً، والفرد الحامل لتلك العلوم يسمى مثقفاً، ولكن هل كل فرد يحمل فكراً يدعى مثقفاً ؟

في حقيقة الأمر إن تعريف المثقف بشكل عام يعد من المشكلات الراهنة، فقد تعددت التعاريف بتعدد الأفكار المعّرفة لهذا المصطلح،

إذن من هو المثقف وما علاقة المثقف بالمجتمع وماهي علاقة المثقف بالسلطة 3 محاور سيطرحها الموضوع.

أولا : المثقف

على ما يبدو أن تعريف (انطونيو كرا مشي) الايطالي، المعتمد على معايير جديدة تقوم على الوظيفة والمكانة الاجتماعية التي يشغلها الفرد خير معبر عن تلك العلاقة حيث قال "إن كل إنسان مثقف ولكن ليس لكل إنسان في المجتمع وظيفة المثقف" فالمثقف وفق هذا التعريف هو من يعمل ويتعامل بالفكر والعلم والمعرفة، كالفقيه والعالم والباحث والكاتب فكل من يكون سلاحه فكره ولسانه رأيه فهو مثقف. أي هو المندمج والمنخرط في مجتمعه والحامل لحلم التغيير والبناء.

يقول عز الدين الكتاني الإدريسي في مقدمة كتاب : " المغرب العربي وقضايا الحداثة " لمحمد عابد الجابري :" إذا نحن استعملنا كلمة مثقف كمفهوم شفاف فسنجد أنه رجل الفكر الذي يدل منذ الفلسفة اليونانية، على التفكير بالمدركات و الأفكار العامة، ثم أصبح يدل على الشخص الذي يهتم بقضايا الفكر وهذا المعنى الثاني غير وارد في قاموسي ليتري وبوتي لاغوس، أما في العربية فكلمة مثقف تدل على الحذق وتقويم الرمح، وباتساع المعنى،)المثقف هو الذي يهتم بالعلوم والفنون والآداب(وباختصار هو الإنسان المتمكن.

ثانيا : المثقف والمجتمع

يقوم المثقف داخل مجتمعه بوظائف عدة ومتفاوتة :

- وظيفة بيداغوجية وتقنية : إذ يمرس غيره على قضايا الفكر والفن، بحيث يعطي المثال بنفسه.
- وطيفة اجتماعية : فسواء أكان ملاحظا أم عنصرا فعالا أو مجرد ناشر للمعرفة ، فإن المثقف يقوم بدور تنبيه الفكر على ذكاء وحساسية عصره. لقد كان المثقف دائما ، وفي جميع المجتمعات ، يلعب دور الوسيط بين الحاكمين والمحكومين، وسبق له أن تعاطى للسياسة لكنه نادرا ما استمر في ممارستها، لأن عمله الأصلي يمكنه في تحريك الفكر، وشرح المجتمع، لا في إدارة المجتمع.
- وظيفة أخلاقية فسواء كان مناصرا للعقل المطلق أم للحكمة في خدمة الإنسان، أم كان مناصرا لقضية أو لمثل أعلى، فهو مطالب بأن يتكيف باستمرار مع المبادئ، والقيم التي يدافع عنها، وبالتالي فهو مرغم على سلوك موجه لذاته.

فالمثقف مسئول على التعريف بنفسه وتصنيف ذاته بتفاعله مع مجتمعه بحضوره الدائم في كل قضاياه والتفعيل فيها ، و بذلك سيعرف المجتمع المثقف الحقيقي عن المثقف المزيف الذي يستغل جهل الناس ويؤثر فيهم يرفض الحوار، ولا يتحمل النقد وبالنسبة له كل الطرق مستباحة لتحقيق الغنى ورغد العيش و يستعمل كل أنواع الغش والخداع و الكذب . و للأسف هذا النوع تجده مدعما من طرف الحكام.

بشكل عام هناك المثقف الحقيقي و المزيف لكن إذا لم يستطع المثقف الحقيقي القيام بدوره المنوط به تجاه مجتمعه ، هنا يفتح باب التساؤلات لماذا ومن يمنعه ؟ و كيف يمكن ترميم الفجوة بينه وبين مجتمعه ؟

هناك بناء فكري عام هو خليط من الموضوعية و الإيديولوجية يفسر وضع المثقف في العالم العربي و تأرجحه فيما يتعلق بردود فعله تجاه قضايا مجتمعه فنجد أنها إما تقف عند مستوى الإعلان عن إيديولوجية ذات مضمون اجتماعي لفهم القضايا الاجتماعية والسياسية إما تتخطى

هذه المرحلة إلى مستوى التحليل والتشريح للقضايا بصورة واعية معتمدة على تطابقها مع الواقع الفعلي للمجتمع العربي، أو أنها تصل إلى القدرة على وضع المنهج الملائم للتغيير المجتمعي نحو الأفضل.(1)

ففي مجتمعاتنا هذه يصبح الالتزام الإيديولوجي للمثقف معرقلا لالتزامه بقضاياه الاجتماعية فكيف ذلك ؟

إن تأرجح الموقف الإيديولوجي للمثقف تجاه النظام السياسي بين التأييد والمعارضة بين الاقتراب من الحاكم والابتعاد عنه، بين التبرير لسياسة النخبة السياسية والدعم الفكري لسياسات أخرى مغايرة يعبر عن تناقض ليس في الاختيار الإيديولوجي الذي تبناه المثقف عن وعي ولكن يعبر عن تناقض في المصالح التي تتأرجح بين الذاتية والموضوعية، بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة والدليل على ذلك تغيير الموقف الإيديولوجي للمثقف بتغيير نظم الحكم ، بتغيير الحاكم أو بتغيير مكان الإقامة من مجتمع إلى آخر عربي كان أو غربي (2)

كذلك هذا التأرجح يضعف ثقة المجتمع فيه فيصبح مشكوكا في نزاهته و في التزامه بقضايا وطنه.

لكن فإذا ما رجعنا دائما إلى واقعنا الحالي نلاحظ بأن القطيعة عميقة بين المثقف ومجتمعه وأنه قد آن الأوان فعلا للمواجهة و للحوار للمراقبة والمحاسبة ؟

الآن المثقف مجبر على الانغماس في مجتمعه أبى أم شاء لأن المجتمع استنفذ كل طاقاته و مقوماته وتراكمت حاجاته الضرورية والملحة وأسئلته المتعددة سياسية كانت أو اجتماعية أو فكرية . والمثقف الذي لا يستلهم وجوده من مجتمعه فهوميت ولا جدوى منه لأن المجتمع هو مختبره وورشه الأساسي فإن انقطع عنه ستصدأ آلياته و تموت مؤهلاته وتبلى مفاهيمه، المثقف أحد الفاعلين في المجتمع يسهم في تطويره وتغييره حاملا لقضية يعمل من أجلها لا يمكنه الاستغناء عن المجتمع مهما كانت طبيعة هذا المجتمع ومهما كانت طبيعة المثقف ، لا بد من علاقة بينه والمجتمع ، علاقة يجب تحديد نوعيتها ، لأنها قد تأخذ عدة مناحي، منحى وصاية المثقف على المجتمع ، منحى مشاركة وتعاون المثقف مع المجتمع، وقد تأخذ منحى تبعية المثقف للمجتمع، أشكال كثيرة تتخذها العلاقة بين المثقف .

ثانيا : علاقة المثقف بالسلطة

كثيرة هي الأشكال التي تتخذها العلاقة بين المثقف والمجتمع من بينها ما ذكره المرحوم الأستاذ عبد السلام حيمر (خيارات التحول السوسيولوجي في المغرب) في تحديده لهذه العلاقة : " فإننا نرى الآن أن الوقت قد حان لتوفير الشروط الضرورية لانبثاق حقل ثقافي مستقل و لتسهيل هذه الولادة العسيرة للمثقفين بالمعنى الحديث للكلمة بوصفهم (بغض النظر عن انتماءاتهم الطبقية المتباينة) فئة اجتماعية واعية بذاتها متميزة عن غيرها من الفئات الاجتماعية بمميزات وظيفية" (3). فمتى وكيف يمكن للمثقف أن يمارس وظائفه هذه وبأي أداة ؟ إنه حينما تطلق القوى السياسية العنان للفكر النقدي الذي يمثله المثقفون ليستشرفوا آفاقا أحسن و إمكانيات أحسن و أن ينتج المجتمع ذاته باستمرار و ألا تلجم القيادات السياسية العقول وتقيد الألسن و تستدمج المثقفين في نظام امتيازاتها و مسؤولياتها و إلا سيكون ذلك دليلا على أن المجتمع آسن وعلى أن المجتمع راكد(4) كما يعبر عن ذلك أحمد مجدي حجازي في كتابه " المثقف العربي والالتزام الأيديولوجي

فحينما يتسلط المجتمع السياسي – العسكري على المجتمع المدني و يغيب الشعب من الحسابات و يغلب الرأي الواحد والفكرة الواحدة و المؤسسة الواحدة ، فتتعالى أصوات المثقف منتقدة و رافضة، آنذاك تقلب الحقائق ويتهم المثقف بالشغب والمساس بأمن الدولة ويصبح كبش الفداء الذي يتعين التخلص منه لدعم وحدة
الجماعة لأنه بحث في أركيولوجية الوعي و كشف عن الأوهام والغشاوات التي تغطي العيون وتحول دون إدراك الواقع كما هو.
للتخلص من هذا الوضع على المثقف الحقيقي الملتزم بقضايا الجماهير والمتمسك للحس التاريخي رغم التكميم والتخريس أن ينهض بمسؤوليتين كبيرتين :

1 - مسؤولية ثقافية وذلك بالدعوة من المزيد العقلنة والعقلانية و الكشف عن مظاهر اللاعقلانية في الثقافة والإسهام في التعرية عن الحقائق والدعوة إلى تحديث الفكر والذهن و التفتح على الآخر دون الإحساس بالنقص
والدونية والتمييز بين ما خصوصي وما هو عمومي ذلك لأن ثقافة تنغلق على نفسها وتكتفي باجترار نرجسي لإسهاماتها الماضية لا بد و أنها ثقافة تكتفي بترديد الحضور في الماضي تعويضا عن الغياب في الحاضر ويقول في هذا الصدد المفكر المغربي " عبد الله العروي" وهو يتحدث عن المثقف العربي بنوعيه كما صنفه ، المثقف السلفي والمثقف الانتقائي، : (....ينحل- المثقف العربي- في حقائق العالم الوسيط المطلقة : لغة الجاحظ، مدرسة الأشعري، صوفية الغزالي....إذا استمرتا في ربط مستقبل الأمة العربية والإخلاص لمطلقاتها كما نفعل دائما تقريبا فلا يسعنا إلا أن نستخلص بأن الاستلاب المستعرب (عصور وسطوية) هو أسوأها جميعا و أن الحملة التي أديرت ولا بد من الاعتراف بنجاحها ضد الاستيلاب المستغرب لا تفيد إلا في التمويه على تأخر ثقافي لا يكف عن التضخم. فمن يستطيع الإنكار بأن ثمن هذه الحملة كان دوما باهظا أكثر من اللازم : وقت ضائع، تأخر متراكم، إخفاقات متتالية و أخيرا انحراف إلى اللاتاريخ (5) العروي في كتابه"أزمة المثقفين العرب أزمة تقليدية أم تاريخانية"
إذن فإذا أراد المثقف النهوض بوطنه و تحقيق التقدم فليتجاوز حنينه للماضي والتفاخر بالأجداد و عبادتهم و ليساهم فعليا في صناعة الحاضر و استشراف المستقبل معتمدا على قوة تحديثية تقدمية عوض قوة عطالة وتكرار التي ستسيء للمثقف و لمجتمعه.

2 - أما المسؤولية الثانية فهي مسؤولية اجتماعية وتتجلى في إذكاء روح العقلانية والنقد في الميدان الاجتماعي للدفع من المزيد من الطاقات المجتمعية في صناعة القرار وفي تحقيق التقدم الاجتماعي والعدالة والعمل على دمقرطة المجالات الاجتماعية و السياسية والثقافية.

و بذلك ستكون أجيالا أخرى فيها للمثقفين خلفا حاملين لهموم و قضايا مجتمعهم معيدين إنتاج فكر و مواقف سلفهم و مضيفين إليه أفكارا و أشكالا معرفية تكون آليات للتحكم و فهم و مقاربة قضاياهم الاجتماعية.
إلا أن من المؤكد أن الصراع التقليدي بين المثقف ورجل السلطة سيظل عائقا أساسيا يحول بين المثقف وبين أدائه لدوره التنويري والتوعوي.
إن صاحب السلطة والقرار يقيس أهمية المثقف بقدر فعاليته وقيمته و بقدر طواعيته و مثاليته ، و بما أن الآن أصبحت السلطة والقوة هي الخطاب الطاغي اليوم و من لا قوة له لا كلمة له فإن صاحب يستخدم كل أسلحته لتشويه المثقف وثقافته أو إبعاده و إقباره لكن فكما للحاكم أسلحته

فللمثقف أيضا أقوى سلاح و أقوى سلطة سلطة تضاهي سلطة السلاح والقوة والمال إنها سلطة العقل والمعرفة والصناعة بالمفهوم الفلسفي هي سلطة دائمة مستمرة و مقتحمة ، سلاحها السؤال والبحث و قوتها فضح المستور و هدفها التغيير و إصلاح الأوضاع والتنبؤ بالمستقبل . فإذا ما استطاع المثقف أن يفرض سلطة العقل وأن يسخر المنابر الثقافية و الجمعيات و الأحزاب للتعبير عن فكره و مواقفه فسوف يهزم كل السلط و يخترق كل الطابوهات و يكون فاعلا في مجتمعه و ينخرط في كل طموحات مواطنيه بل و يحققها لكن كيف يستطيع أن يفرض سلطته هذه ؟ خاصة و أن السياسي لكي يعتلي كرسي الحكم يقحم بمجانية نفس مفاهيم و آليات المثقف : الديمقراطية ، حقوق الإنسان، المساواة ، العدالة و الحرية كلها مفاهيم تفرغ من محتوياتها الحقيقية ، و تصبح مجرد ملفوظات للعرض والطلب فتفقد بذلك مدلولها الأوسع وسبلها المنسية أو اللامفكر فيها كما تصير مجرد أبنية فاقدة لأسسها و تمر كما تمر السلع و تستهلك ببشاعة في كل خطاب و في كل زمان ومكان فتصبح مرافقة لكل انتهازي منفعي وكل استغلالي دنيء . مفاهيم تغتال بشكل مستمر ومكثف أمام المثقف الذي بسكوته قد يخون دوره التاريخي والطبيعي الذي عبره يطرح الأسئلة و ينير و يوجه العقول إلى الحقيقة و ينزع الغشاوة عن العيون ويزيح الأقنعة.

فإذا ما عدنا إلى مجتمعنا المغربي و تساءلنا عن مثقفينا و في أي واد يهيمون ما النوع الطاغي منهم في مجتمعنا هل هو المثقف السلفي أم الانتقائي حسب العروي ؟ هل هو مثقف الظل بالمفهوم الفوكوي ؟ هل هو المثقف التقليدي على حد تعبير كرامشي الذي يقول عنه .. بكونه يعيش في برجه العاجي ويعتقد انه أعلى من كل الناس ، أم أنه المثقف العضوي دائما حسب تصنيف كرامشي والذي يحمل هموم كل الطبقات وكل الجماهير وكل المحرومين والكادحين ؟ إذن فعن أي مثقف نتحدث الآن ؟ هذا سؤال مستفز لماذا ؟ لأنه يشكك في هوية المثقف في صلاحيته إن صح التشبيه فأي صنف يوجد في مجتمعنا ؟ إن الجواب عن هذا السؤال قد يحمل مخاطر المغامرة بحيث و نظرا لهامشية المثقف المفروضة أو المرغوبة يصعب معرفة من المتواجد أكثر المثقف التقليدي أم المثقف العضوي . إنه خطاب حول الذات خطاب حول خطاب، خطاب المثقف حول نفسه وحول غيره فيصعب التحديد و قد تقحم المجاملة والنفاق الاجتماعي مما يحول دون معرفة الحقيقة .

هي بعض الأسئلة التي تزدحم في المخيلة وقد تبقى بدون جواب ولكنها تفتح أفقا للتفكير بعمق حول نوعية مثقفينا .

لقد سبق في المقدمة و أن ميزنا بين المثقف الحقيقي والمثقف المزيف و خصائص كل واحد منهما لكن هل من السهل معرفة من المتواجد بالكثرة أو بالقلة في بلادنا ؟ أم أن طرح مثل هذا السؤال يعد مجازفة ما دام أنه قد تختلط الأمور بعض الأحيان فيستحيل التمييز بين الصنفين لأن الماء عكر والكل يصطاد فيه . ولكن لكي نخرج من هذه المتاهة سأقحم موقف أحد السوسيولوجيين البارزين في تاريخ المغرب وهو الراحل " بول باسكون" حينما قال و هو يتحدث عن عالم الاجتماع-الذي تأتي الفضيحة على يده - أن عالم اجتماع مجبر على اتخاذ أحد المواقف إما الصراع والمواجهة مع السلطة و يكون المآل الاغتيال أو الاعتقال أم الانقياد لها و العمل بقوانينها أو الانزواء والانطواء.

قد يتدخل المثقف أحيانا لكن لا لينخرط في عمق المجتمع و يتفاعل مع مكوناته عضويا ووظيفيا بل ليصبح مثقف السلطة يروج لسياستها، فيتحول إلى مجرد أداة أو بيدق يحركه الحاكم كيفما شاء و كلما شاء، ومبشرا أعمى، فيخون مبادئه وقيمه ليعيش في رغد و طمأنينة بدون ضمير و

النماذج كثيرة للأسف خاصة في بعض المجتمعات النامية التي تسيرها أنظمة مستبدة هدفها هو الاستغلال والسيطرة و الاغتناء على حساب المستضعفين ، في حين لا نكاد نجد في هذه المجتمعات نموذج للمثقف العضوي بالمفهوم الكرامشي، الشديد الارتباط بالهوية الوطنية، والحامل لهموم مجتمعه و المتأمل في قضاياه. فنحن نعرف و دائما حسب المفهوم الكرامشي أن المثقف العضوي هو من يؤثر على مسار الحركة التاريخية من خلال الإسهام الفكري الجاد، ومن خلال انغماسه في أعماق مجتمعه و الاستماع إلى آهاته و محاولته الدؤوبة لرفع الحيف والظلم والاستغلال عن المستضعفين و الطامح إلى التغيير مما يخلق لديه علاقة عداء تاريخي مع الحاكم الذي يسير وفق منهج إيديولوجي ثابت، ولا يقبل بأي عملية تغيير، لأنه يشعر بان ذلك يهدد كيان السلطة.. لهذا لم تكن العلاقة منسجمة مع المثقف العضوي، بل كان الصراع دائما بل أبديا قد يتعرض فيه المثقف العضوي إلى النفي والمطاردة، وربما القتل أيضا، فلا يجد له سندا سوى الفقراء الذين يمثلهم، أو الطبقة التي تشعر بأنه يحقق لها الانفتاح في مستقبل أفضل و يخرجها من الزمن الدائري والثابت.

إذن السؤال المطروح كيف يمكن للمثقف العضوي وليس التقليدي أن يمارس سلطة العقل أو سلطة القول بالمفهوم الخطيبي ضد قول السلطة الذي يخنق كل مجتمع (6)

إذن كيف يمكن للمثقف العضوي أن يمتلك سلطة و أي نوع من السلطة و لماذا السلطة ؟ ما هي ماهية السلطة وكيف ستمارس هذه السلطة ؟ هل في ظل صراع مع باقي السلط أم في توافق أم خضوع وتبعية ؟

بالنسبة لمسألة التوافق هل يمكن خلق التوافق بين الحاكم الذي يملك السلطة والمثقف العضوي المعبر عن تطلعات الأغلبية الساحقة؟ و في هذه الحالة يجب أن تتوازن القوى و تصبح سلطة المثقف متساوية مع سلطة الحاكم و لكي يتحقق ذلك لا بد من تنازلات من الطرفين معا على الحاكم أن يتنازل عن شعوره السادي كونه القوي و المتحكم في مصائر البلاد والعباد و أنه قادر على التواصل و على التحاور و الانفتاح والاقتناع بأنه جزء فقط من مركبة التنمية والنمو و الاعتراف بدور المثقف في بناء المجتمع و العمل على تقدمه. في المقابل يجب أن يتنازل المثقف عن نرجسية مفرطة و عن غرور معرفي باعتقاده أنه المتحكم في الكون والعقل و أن يقتنع بأن البناء يتوقف على فاعلين متعددين متواصلين.

بالنسبة لمسألة الصراع بين المثقف والسلطة أرى بأنه حقل لا تتساوى ولا تتكافأ فيه السلط فسلطة الحاكم تكون أقوى و أسرع تنفيذا و يكون الخاسر بطبيعة هو المثقف لماذا لأنه حاول التقرب من محراب الحاكم حاول الانغماس في أعماق المجتمع الإنصات لهموم الآخر ومعاناته والتي هي من صنع و اختراع الحاكم لذلك يصبح الحاكم مهاجما و ليس مدافعا في حين المثقف تنحصر كل آلياته في الدفاع : عن حقوق الإنسان عن الديمقراطية عن حرية الإنسان عن الحق في السكن في الشغل في الصحة إلى غير ذلك مستعملا نفس المفاهيم التي يستعملها الحاكم في بداية اعتلائه للحكم ، وبذلك تنقلب الأوضاع فيتهم المثقف بخروجه على القانون والمس بأمن الدولة فيتفنن الحاكم في تلفيق كل الجرائم للمثقف. فيكون المآل بالطبع هو الموت أو الجنون.

أما مسألة الخضوع وتبعية المثقف للحاكم فهي الأسوأ و الأذل من حالة الصراع المذكورة آنفا لماذا لأن المثقف هنا يتجرد من كل سلطة (سلطة العقل بطبيعة الحال) يمحى من الوجود ويصبح عقيما متلاشيا فاقدا لذاته ولموضوعه

إذن يبقى الاختيار للحالة أو العلاقة الأولى حين يكون التوافق بين السلطة المعرفية والسلطة المخزية ولو أن هذه العلاقة و لكي تتحقق ما المطلوب من المثقف ؟ هل التحصين من السياسي و نحن نعرف أن السياسي قد يقتل الثقافي حينما يفشل المثقف في وضع القطيعة بين الانتماء السياسي وبين الفكر أم أن على المثقف ولكي يحقق التوافق مع الحاكم أن يقتحم محراب الحاكم لا هجوما ولكن فضولا ليعرف كيف يفكر الآخر وكيف يتحرك أرى بأن الأمر صعب إذن يجب أن يكون هناك حذرا إبستومولوجيا . فللمثقف آليات التحكم أقوى من آليات الحاكم ، وأن ذكاء ه أكبر من ذكاء الحاكم وأن المثقف يفكر و يحلل و يفكك ويتنبأ يتميز ببعد النظر و الروية و الاتزان يضع كل الاحتمالات و يقدم الحلول لكل احتمال إنه شعلة بركان من الأفكار متفجر باستمرار نبع لا يجف ولا ينضب و هنا تكمن قوة سلطة المثقف في حين أن الحاكم يفكر ليس من أجل التفكير فقط ولكن من أجل التفعيل المحكوم بظرفية زمنية قصيرة بتحولها تنقلب كل الموازين ، الحاكم قد يستخدم ذكائه أو دهائه في أشياء تافهة قد تحقق له غايات محكومة بالزمان قد يتصرف باندفاعية أساسها العنف والدهاء و المكر و هنا لا ننسى ماكيافلي في كتابه الأمير كيف يمكن للحاكم أن يمدد من حكمه باستعماله كل الطرق أليس هو القائل بأن الغاية تبرر الوسيلة هذا القول الذي ينعدم في قاعدة المفكر,

الخلاصة

لو استطاع المفكر أن يصبح حاكما كما قال الفيلسوف أفلاطون حين اعتبر العلماء هم الأولى بالحكم و هم الذين يستطيعون تحقيق العدالة والمساواة والحرية والديمقراطية لحلت المسألة بتاتا.
نحن اليوم بحاجة أكثر من قبل إلى المثقفين الذين ارتبطوا عضويا بمجتمعاتهم. إن المثقف الحقيقي والعضوي اليوم هو عملة صعبة وصعبة جدا، إذ يكاد يختفي في خضم أولئك المثقفين التقليديين من جهة وأولئك المثقفين السلطويين من طرف آخر.. وهنا لابد من الاعتناء بالمثقفين الحقيقيين العضويين. و أختم قولي بهذا القول :
يقول الخطيبي إن المثقف: " سواء أكان مناصرا للعقل المطلق أو للحكمة في خدمة الإنسان، أو كان مناصرا لقضية أو مثل أعلى، فهو مطالب بأن يتكيف باستمرار مع المبادئ والقيم التي يدافع عنها، وبالتالي فهو مرغم على سلوك موجه لذاته (...) لأن عمله هو تحريك الفكر وتحليل المجتمع لا إدارته(7).
ويوجه كلامه إلى المثقفين المغاربة قائلا: " ليس هناك شيئا كبيرا في الثقافة المغربية حول الطبقات الاجتماعية والدولة وحول تحولات المجتمع المغربي (...). إن ما لم يأخذه المثقفون على عاتقهم، هو العلاقة بين المجتمع والسياسة والدين، وهو شيء مهم (8)

هوامش:

(1) د. أحمد مجدي حجازي ، المثقف العربي و الالتزام الايديولوجي ، مجلة الوحدة عدد 40 1988سنة ص 19
(2) نفس المرجع السابق
(3) د.عبد السلام حيمر،مسارات التحول السوسيولجي في المغرب،منشورات الزمن، نزنبر 1999 ص49

(4) د. أحمد مجدي حجازي ، المثقف العربي و الالتزام الايديولوجي ، مجلة الوحدة عدد 40 1988سنة ص 3

(5) د.عبد الله العروي ، أزمة المثقفين العرب أزمة تقليدية أم تاريخانية ؟ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، يناير 1978 ص 107

(6) د.عبد الكبير الخطيبي، المغرب المتعدد، ترجمة زبيدة بورحيل ، سمر دونويل، باريس 1983

(7) Abdelkbir khatibi ,***Penser le Maghreb*** (SMER, Rabat, 1993). p 106

(8) نفس المرجع السابق